مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-0502
المجلد 11/ العـدد 01 (2023)، ص: 161- 190

الهوية الثقافية ومشكلة الاغتراب الثقافي في عصر عولمة الإعلام والمعلومة

Cultural identity and the problem of cultural alienation in the era of globalization

مصطفى ثابت[1]

[1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، tabet.moustafa@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/19 تاريخ القبول: 24 /2022/11 تاريخ النشر: 2023/03/20

ملخص:

تسعى هذه الورقة العلمية للبحث في خلفية العولمة بوصفها ظاهرة عالمية ظهرت مع تطورات الإعلام وتكنولوجياته المختلفة ودراسة تأثير هذه الأخيرة على الهوية الثقافية، ومساهمتها في انتشار ظاهرة الاغتراب الثقافي في دول العالم الثالث عامة والعالم العربي خاصة، وذلك من خلال الوقوف على طبيعة علاقة الإعلام بالثقافة، ودور تكنولوجياته في التأثير على الهوية الثقافية ومكوناتها، ومن ثمة التفصيل في أزمة الهوية بين التبعية والغزو الثقافي، ثم طرح بعض الحلول والمقترحات لمواجهة العولمة الغربية والتصدي لظاهرة الاغتراب الثقافي وآثارهما السلبية على الفرد والمجتمع.

كلمات مفتاحية: الهوية الثقافية، الاغتراب الثقافي، الاغتراب الهوياتي، العولمة، الغزو الثقافي.

Abstract:

This scientific paper seeks to research the background of globalization as a global phenomenon that has emerged with the developments of the media and its various technologies and the study of the effect of the latter on the cultural identity and its contribution to the spread of the phenomenon of cultural alienation in the third world countries in general and the Arab

world in particular, by identifying the nature of the media's relationship with culture, and the role of its technologies in influencing the cultural identity and its components, then the detail in the identity crisis between dependency and cultural invasion, After that, some solutions and proposals to confront Western globalization and address the phenomenon of cultural alienation and their negative effects on the individual and society.

Keywords: Cultural identity, Cultural alienation, Identity alienation, Globalization, Cultural invasion.

المؤلف المرسل: مصطفى ثابت

1. مقدمة

ترى عديد الأطروحات البحثية أن إنسان العصر الحديث يعيش صدمة ثقافية اغترابية فرضتها أنساق من طفرات التغيرات المتسارعة التي مست جوانب حياته الاجتماعية والثقافية بتأثير التكنولوجيا بكافة مكوناتها، وقد وصفت تلك التغيرات والتحولات بمصطلحات على غرار عصر ما بعد العولمة، ما بعد الحداثة وما بعد المعرفة، وكلها أوصاف بنيت على أساس التطورات التي عرفها المجال الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي، فالابتكارات والاختراعات التي أبدعها الإنسان منذ القرن العشرين جعلت الإنسانية تعيش عصرا متفجرا بالثورات العلمية سميت بثورة الميديا، وثورة الاتصال، والثورة الرقمية، وثورة المعرفة، وغير ذلك.

وإزاء هذه التغيرات الاجتماعية والثقافية يجد المفكرون المعاصرون أنفسهم من جديد أمام تحديات كبيرة تتعلق بمصير الإنسان ووجوده الاجتماعي خاصة وهو يتخبط في لا توازن أخلاقي وثقافي، ومن جديد بدأ هؤلاء المفكرون يطرحون بشدة موضوع الاغتراب الإنساني الذي كان قد شكل في نهاية القرن التاسع عشر

وبداية القرن العشرين محور اهتمام كبار المفكرين أمثال: روسو وماركس وأنجلز وماركوز وهيدجر وجان بول سارتر.

وهذا الطرح الفكري الذي ينطلق في الأساس من البحث في زاوية أساسية بذات الموضوع تتعلق بدراسة العلاقة بين الإعلام والهوية، والتي هي علاقة جدلية بحيث إن الهوية تنعكس وتقوى وتتغلغل في نفوس أفراد المجتمع من خلال وسائل الإعلام فهي تتأثر بالإعلام وتؤثر فيه، فالإعلام هو من دون منازع الآلية الأكثر تأثيرا وقوة في صناعة الهوية والتعبير عنها وعن معالمها وصيانتها ونشرها وبعثها والدفاع عنها، فالعلاقة بين الإعلام والهوية تعتبر علاقة جدلية بحيث إن المنظومة الإعلامية هي قوة فاعلة ومؤثرة في التعبير عن الهوية وتحديد ملامحها وتفاعلاتها ومقوماتها، ولهذا فالإعلام يساهم في تشكيل الهوية الوطنية التي هي بدورها تنعكس من خلال الصناعات الإعلامية والثقافية وتؤثر فيها وتصبغها بصبغتها.

والمتأمل اليوم في موضوع الهوية يلاحظ بكل يسر أن هناك دول وشعوب كثيرة خاصة في العالم الثالث تعاني من أزمة هوية في عالم يسوده الصراع على الصورة والرأي العام، وفي عالم أصبح فيه الواقع الذي تقدمه الصناعات الإعلامية والثقافية واقعا مفبركا ومصطنعا بعيدا كل البعد عن الحقيقة والواقع، ففي زمن فرضت فيه العولمة منطقها على العالم، وتعرضت وتتعرض فيه الثقافات الوطنية والمحلية وخصوصيات أمم وشعوب العالم الثالث إلى اختراقات ومضايقات وتشويه وتنميط من قبل الصناعات الثقافية والإعلامية الغربية والعالمية، تطرح إشكالية الهوية الثقافية والوطنية بقوة وبحدة لأن الأمر يتعلق بموضوع إستراتيجي يهم كيان الأمة ووجودها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها.

وهنا يجد الانفتاح على العالم إجراء حضاري ومبدأ لا بد منه والتفاعل مع الآخر ومع التكنولوجيا والعلوم وثورة المعلومات والمجتمع الرقمي أمر لا مفر منه، أما الانغلاق على الذات فإنه يؤدي إلى عزلة قاتلة قد تغلق أبواب التطور وتقف

حاجزا منيعا أمام التقدم والازدهار والتنمية المستدامة كما يرى الأستاذ محمد قيراط، غير أنه وبالمقابل يجب الدول والشعوب وثقافتها في الآخر وتتجرد من هويتها لتصبح بلا هوية ولا كيان يضمن تماسكها ووحدتها وخصوصيتها الوطنية والقومية، وبناء على هذا الطرح يبرز إشكال بحثي مفاده:

- كيف تؤثر العولمة والإعلام الحديث على الهوية الثقافية وخصوصية مجتمعات وشعوب العالم الثالث؟

ومن هذا السؤال الرئيسي تتفرع أسئلة جزية أهمها:

- ما هي آليات العولمة والإعلام للتأثير على الهوية الثقافية؟

- كيف تساهم العولمة في خلق مشكلة الاغتراب الثقافي لدى شعوب ودول العالم الثالث؟

- ما هي أنجع الطرق والأساليب لمواجهة سلبيات العولمة الثقافية ومشكلة الاغتراب الثقافي؟

2. مدخل مفاهيمي للعولمة والهوية الثقافية

1.2 العولمة

قبل البدء في الحديث عن مفهوم العولمة لابد من الإشارة إلى أن أغلب المحولات الاجتهادية الرامية تبيان مفهوم ودلالة ظاهرة العولمة لم تبلغ مبتغاها ومراماها الأساسي بعد، فالبعض من تلك الاجتهادات اقتصرت على وصف هذه الظاهرة على أنها عملية أمركة العالم، أي نشر الثقافة الأمريكية بحيث تغلب على الثقافات المجتمعية الأخرى.

ويراها البعض الآخر على أنها الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات الأمريكية، فهي أبشع واحدث صور الهيمنة الاستعمارية، وثمة من ينظر إليها بمنظور أوسع، ملخصه أن العولمة تمثل عملية

رسملة العالم، أي أن العولمة عملية يراد منها نشر مبادئ النظام الاقتصادي الرأسمالي وفرضها على عامة الأساليب الاقتصادية التي تتبعها المجتمعات الأخرى (العولمة الاقتصادية).

في حين يذهب فريق ثالث للقول بأن العولمة ظاهرة تنحوا بالمجتمعات الإنسانية قاطبة نحو التجانس (التشابه) الثقافي وتكون الشخصية العالمية ذات الطابع الانفتاحي على ما حولها من مجتمعات وثقافات مختلفة (العولمة الثقافية وثقافة العولمة)، ويعول أنصار هذا الفريق على جملة التطورات الهائلة الحادثة في قطاع الاتصالات والمواصلات بين المجتمعات الإنسانية المختلفة، والتي أسهمت بشكل كبير في نشر ثقافات المجتمعات بخاصة المتقدمة والتي ترنو المجتمعات النامية بلوغ مستوى تطورها الصناعي والاقتصادي والعلمي، وعموما يبدو أن منظار هؤلاء للعولمة أوسع نطاقا مما سبق عرضه.

العولمة كلمة مترجمة من **Globalization** الانجليزية بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، فهو إذا مصطلح يعني جعل العالم عالما موحدا، موجها توجيها واحدا في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى "الكونية أو الكوكبة" أي إكساب الشيء طابع العالمية.

وفي اللغة العربية هي لفظة مشتقة من العالم والعالمية والتعولم، ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيرا، ومن هنا يمكننا القول بأن العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله، ويصطبغ بصبغة واحدة شاملة للجميع. (نعيجة، ص ص109-123)

وحسب تعريف رونالد روبرتسون للعولمة فإنها تعني تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفا واحدا و ظهورا لحالة إنسانية عالمية واحدة، أي إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية و المعرفية بين كل التجمعات الإنسانية بتقليص المسافة

فيما بينها ، سواء تعلق الأمر بانتقال الأشخاص أو السلع والخدمات أو رؤوس الأموال أو المعلومات والأفكار والقيم، الأمر الذي يجعل العالم أشبه بسوق كبيرة تضم عدة أسواق فرعية وتتميز بسمات تلك السوق الضخمة، وهي وإن كانت تذلل صعوبات التواصل بين مختلف الشعوب باختزالها المسافات وكسرها الحواجز، فالعولمة تسمح بمرور كل شيء حتى الممنوعة منها كالمخدرات مادامت تدر ربحا على السوق الكبيرة الواقعة في قلب العالم. (مراد، 2001، ص91)

أما محمد عابد الجابري يعتقد أن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل إيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم، فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي على الصراع الأيديولوجي، حيث كانت الأيديولوجيا هي التي تطبع الحرب الباردة، أما الآن فقد سادت بدائل أخرى تأخذ تارة نكهة اقتصادية وتارات أخرى ثقافية أو كليهما معا، وهي تعني الآن في المجال السياسي منظورا إليه من زاوية الجغرافيا (الجيوبوليتيك) العمل على نمط حضاري يخص بلدا بعينه، وهي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، إنها ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي بل إنها أيضا وبالدرجة الأولى دعوة إلى تبني نموذج معين هو النموذج الأمريكي. (مناصرية، 2012/2011، ص48)

وفي نفس السياق يرى الخضيري أن للعولمة جوانبها المتعددة منها السياسي المتمثل في انهيار الدولة القومية والوطنية، وسيادة فكرة الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنها الاقتصادي متمثلا في الأسواق الحرة والشركات متعددة الجنسيات، ومنها الاجتماعي والثقافي المتمثل في الاتجاه نحو التجانس الثقافي، وانفتاح الأنظمة الاجتماعية خاصة نظام الأسرة، والجوانب التكنولوجية أو التقنية المتمثلة في الآلة وخاصة الصناعية والحربية والحاسوب ووسائل الاتصال المختلفة، بالتالي فالمحرك الأساسي لهذه العولمة تكنولوجيا المعلومات يتمثل في

تكنولوجيا المعلومات الليبيرالية الجديدة، اقتصاد المعرفة وعالمية التجارة ورأس المال. (شياب، 2019، ص ص445-459)

2.2 الهوية الثقافية

يعتبر مفهوم الهوية واحدا من أكثر المفاهيم المطروحة جدلا وإثارة للنقاش نظير ما يحتويه من دلالات فكرية وسياسية، واجتماعية تمس عمق المجتمع، وجوهره.

وعند البحث في أغلب المعاجم العربية القديمة يلاحظ عدم وجود تعريفا للهوية، لأن كلمة الهوية مصطلح حديث منسوبة إلى "هو" تحديدا، وهي تعني إدراك تميز هو عن الآخر، وكلمة "هو" في هذا السياق ليست (هو) ضمير الغائب المعروف باللسان العربي الدال على الحقيقة المشخصة (شخص) هي كلمة دالة على التمايز أو السمات في أمة دون غيرها من الأمم.

وفي المعجم الوجيز الهوية تعني الذات، والدلالة الذاتية للهوية تعني الإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي للفرد خصائص متفردة، وتقول الموسوعة الفلسفية العربية أن كلمة "هوية" انبثقت من قبل المترجمين القدامى من ال "هو" لينقلوا المعنى إلى العربية، وبذلك فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح يدل على كون الشيء نفسه.

أما في معجم الوسيط ف"الهوية" هي "حقيقة الشيء، أو الشخص التي تميزه عن غيره، و أيضا بطاقة يثبت فيها اسم الشخص، وجنسيته، ومولده، وعمله، وتسمّى البطاقة الشخصية هوية أيضا. (نعيجة، ص ص109-123)

ويمكن تعريف الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم بأنها القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.

كما أنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء. (عابد، 1998، ص ص14-22)

وهناك من يرى أن الهوية معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وقيم ونظرة إلى الكون والحياة.

وبشكل عام فالهوية الثقافية هي كل ما يميز أمة عن أمة بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات وتاريخ مشترك، ونجد في الكتابات المعاصرة أن الهوية الثقافية تشير في غالب الأحيان إلى الهوية الوطنية، ومن بين التعاريف التي قدمت من طرف المفكرين والباحثين نجد المفكر الفرنسي أليكس ميكشيلي، والذي يعرف الهوية الوطنية على أنها": منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوة والشعور بها.

وللهوية الثقافية مستويات ثلاثة كما حددها الجابري فردية، وجمعوية، ووطنية قومية. والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساسا بنوع "الآخر" الذي تواجهه، وعلى العموم، تتحرك الهوية الثقافية على ثلاثة دوائر متداخلة ذات مركز واحد: فالفرد داخل الجماعة الواحدة، والجماعات، داخل الأمة، والأمة الواحدة، والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين، يتغير مدى كل منهما اتساعا وضيقا، حسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، والتضامن واللاتضامن، التي تحركها المصالح :المصالح الفردية والمصالح الجمعوية والمصالح الوطنية والقومية.

ويرى الجابري أن الإعلام بوسائله التكنولوجية يعد من إحدى وسائل العولمة للتأثير على ثقافة الشعوب وهويتها الثقافية فيقول: " إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالمي، باعتبار أن "الجيوبوليتيك،" أو السياسة منظورا إليها من زاوية الجغرافيا، وبالتالي الهيمنة العالمية، أصبحت تعني اليوم مراقبة "السلطة اللامادية"، سلطة تكنولوجية الإعلام التي ترسم اليوم الحدود في "الفضاء السيبرنيتي ":حدود المجال الاقتصادي السياسي التي ترسمها وسائل الاتصال الإلكترونية المتطورة، وهكذا فبدلا من الحدود الثقافية، الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة "حدودا"أخرى، غير مرئية، ترسمها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك. (زوار، 2017، ص ص184-199)

3.2 الاغتراب الثقافي

يطرح مفهوم الاغتراب الثقافي جدل وخلاف حول مجال استخدامه لما يكتنفه من إشكال والتباس، وذلك لتعدد مجالات استخدامه، فنجده في الفلسفة وفي الدين، وعلم الاجتماع، والطب النفسي والأدب والاقتصاد والقانون، ما جعل بعض الباحثين يعتبرون مصطلح "الاغتراب" متعدد المعاني، إذ تعني كلمة الاغتراب في القانون النقل والتسليم، في حين تشير الكلمة في علم النفس الاجتماعي إلى كل ما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يشعر به من غربة وجفاء مع من حوله، أما دينيا فوردت كلمة الاغتراب في الترجمات والشروح اللاتينية للدلالة على الخطيئة كالانفصال عن الله.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مصطلح الاغتراب لم تستقر ترجمته في اللغة العربية إلى الآن، فأحيانا يترجم المصطلح إلى "اغتراب" أو"عزلة" أو إلى"الغربة" أو"التغريب" "أو"ارتهان وانسلاب" أو"الأليئة"، أو"الافتراق عن الجوهر" أو "الانسلاخ"، وهذه الترجمات قد تربك القارئ وتسيء إلى استخدام المصطلح،

ويمكن إرجاع عدم الاستقرار في ترجمة المصطلح إلى تعدد تسمياته حتى في الثقافة الغربية، والذي يعود بدوره إلى تعدد جذور المفهوم اللغوية والفلسفية، وكذا تعدد التركيبات البعدية التي توصل إليها علم النفس وعلم النفس الاجتماعي.

ويعتبر العديد من الباحثين أن الاغتراب عملية تشمل السلبية بصورها المتعددة، بما فيها من انعزال اجتماعي، ونفسي وتمدد، وثورة ومجاورة غير واعية بأي من الوسائل أو بكليهما معا. كما هناك من اعتبر أن الاغتراب هو العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته. (بوعزة، ص ص489-502)

يعرفه مالك بن نبي على أنه أزمة ثقافية يعيشها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية، فيظهر في شكل تكيف لا سوي للأفراد داخل المجتمع نتيجة حرمانهم من جو ثقافي سليم، ويظهر على المستوى الفردي في شكل سلوكيات كالعزلة الاجتماعية والتقوقع والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع في شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوي مع باقي الثقافات. (منصوري، 2021، ص ص191-224)

والاغتراب الثقافي هو ذلك الانفصال الذي نجده حاضرا في تعريف المفكر المعاصر دانييل بل، والذي يرى أن للاغتراب معنى مزدوجا هو الغربة والتشيؤ، وتعني الغربة تلك الحالة الاجتماعية النفسية التي يشعر خلالها الإنسان بوجود مسافة تفصله عن مجتمعه، أما التشيؤ فيعني تجريد الإنسان من شخصيته ليتحول إلى شيء، فيعكس التشيؤ هنا قيم المكر والتدمير.

في حين اعتبر روجرز أن الاغتراب هو سوء التوافق الذي يحدث للإنسان والذي يجعله غير صادق مع نفسه بسبب تزييفه لقيمه، بغرض الحفاظ على التقدير الايجابي للآخرين.

ولعل هذا التعريف يتفق مع التعريفات التي أوردها علم النفس، والذي يعتبر الاغتراب شعورا بالانفصام بين الذات الواعية وقوى اللاوعي الدفينة،

باعتبار أن الرغبات المكبوتة هي المحرك الأساسي لسلوك الإنسان، هذا الأخير الذي يجد نفسه حسب روجرز في اغتراب تام مع نفسه بسبب رغبته في التقدير، وخوفه من العزلة والذي يدفعه إلى إخفاء ماهيته الحقيقية. أما اريك فروم والذي تأثر كثيرا بفكر كارل ماركس فيعتبر أن الاغتراب هو الفشل في التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية، كما أن المغترب بالنسبة له ينظر إلى نفسه على انه سلعة يمكن بيعها وشراؤها، وليس لهذا الإنسان إلا قيما مالية.

بينما هربرت ماركيز الذي يعد أحد كبار المفكرين الهيغليين هو الآخر تأثر بأفكار ماركس، إذ انه يعتبر أن اغتراب الإنسان راجع إلى ما آل إليه المجتمع الصناعي الرأسمالي من تطور تكنولوجي، فالتكنولوجيا بالنسبة إليه غربت الإنسان عن إنتاجه جاعلة منه إنسانا ذا البعد الواحد، فيعتبر ماركيز أن الاغتراب هو تلك الحالة التي آلت بالإنسان في ظل التطور التكنولوجي الراهن، والتي جعلت منه مجرد شيء من الأشياء، ليفقد بذلك قيمته الحقيقية.

ويرى أحمد خيري حافظ الاغتراب على انه وعي الفرد بالصراع القائم بينه وبين البيئة المحيطة به، بصورة تتجسد بشعوره بعدم الانتماء والسخط، والقلق والعدوانية أو بشعور بفقدان المعنى، واللامبالاة ومركزية الذات والانعزال الاجتماعي.

ليبقى الفيلسوف الألماني هيغل أبو الاغتراب نظرا للدور الذي لعبه في تحديد ماهية المصطلح وحيثياته، إذ اعتبر هذا الأخير الاغتراب واقعا متجذرا في وجود الإنسان في هذا العالم، فثمة انفصام موروث بين الفرد بوصفه ذاتا مبدعة تريد أن تكون وأن تحقق نفسها، وبين الفرد بوصفه موضوعا واقعا تحت تأثير الآخرين.

وقد ميز هيغل بين مجالين للاغتراب هما الاغتراب الإيجابي والذي أسماه بالتخارج، وهو تمام المعرفة بذاتها، إذ أن المعرفة المطلقة تتضمن الاغتراب بقدر ما

تحتوي في ذات الوقت على حركة نحو التخطي، والاغتراب السلبي وهو تخارج لم يعرف ذات إلا بوصفه حقيقة قائمة على امتلاك العالم واستدماج الوعي به. (بوعزة، ص ص489-502)

وبشكل عام من خلال هذا العرض حول مفهوم الاغتراب الثقافي يتضح مدى تشعب هذا المصطلح لارتباطه بالعديد من الميادين، ويمكن الوقوف على تعريف شامل في هذا الشأن وهو ما قدمته الدكتورة سناء زهران التي عرفت الاغتراب على انه على أنه ابتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها، والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة، وخاصة أسلوب حياة الجماعة والنظام الاجتماعي وتفضيله على المحلي (بومشطة، 2022، ص ص544-564)، أي شعور الفرد بعدم الانتماء، وفقدان الثقة ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثر العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع.

4.2 الاغتراب الهوياتي:

الاغتراب من أكثر المفاهيم شيوعا في العلوم الإنسانية ، ومن أكثرها قدرة على وصف مظاهر البؤس الإنساني والقهر الاجتماعي عبر علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع، حيث وحسب هنري ليفيبفر فالإنسان يؤثر في الطبيعة ويتأثر بها وهو عندما يغيرها، فهو يتغير أيضا إذ أنه ينتج ويبدع أشياء متعددة، وهذه الأشياء تلبي حاجاته، ولكنها في نفس الوقت تولد حاجات جديدة دون انقطاع، وهي في نفس الوقت تعمل على تعديل الحاجات القائمة ، في مجرى تحقيق الإنسان لذاته في عالم الأشياء، وهذا الحضور الذاتي لا يعني ضياعا للإنسان واستلابا له بل يرمز إلى نمائه وازدهاره.

ويعتقد كارل ماركس أن الإنسان عندما يحس بالحرية يبدأ في تحقيق ذاته عبر النشاط الخلاق في إنتاج الأشياء باستعمال خياله، بيد أن المشاكل تبدأ عندما

يفقد الإنسان حريته بوجود الملكية الخاصة، حيث يقوم بعض الناس بتجميع كمية كبيرة من الملكية الخاصة على حساب الآخرين بينما يبدأ من ليس لهم ملكية بفقدان حريتهم فهم يفتقدون إلى وسائل الإنتاج مثل المعدات والأراضي الضرورية لإنتاج ما يكفي من السلع لأجل البقاء المادي، وبدلا من ذلك لابد لهم من العمل لمصلحة من يمتلك وسائل الإنتاج فهم يفتقدون الحرية في تنظيم النشاط الإنتاجي أو العمل ، ويصبحون مجبرين على العمل لصالح الآخرين كي يتمكنوا من البقاء وبالتالي يصبحون غرباء، وهنا ينظر كارل ماركس إلى الاغتراب بوصفه العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حالة تشيؤ، حيث يستبعد ويصبح بقوة عمله سلعة تباع في الأسواق فالعمل هو الذي يطور الإنسان، وهو الذي يزج به أيضا في أكفان العبودية وزنزانات القهر، وبعبارة أخرى العمل يخلق الإنسان ويطوره، ولكنه يمتص في الوقت نفسه كل قواه ويستعبده.

في حين يعتبر إريك فروم أن الاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان غريبا عن نفسه، حيث يفقد دوره بوصفه غاية إنسانية للعالم، فيتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدة، فالفرد يكف عن أن يصبح نفسه عندما يعتنق نوعا من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية ولهذا فإنه يصبح تماما شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون. (مناصرية، 2012/2011، ص196)

وتتجلى أبعاد الاغتراب بشكل اشمل من خلال مجموع السمات التي تعتري الفرد المغترب، وتتمثل هذه الأبعاد في العجز واللامعنى واللامعيارية (فقدان المعايير)، واغتراب الذات والعزلة، وفقدان الهدفية، وواضح بأن الاغتراب يأتي نتيجة للفجوة العميقة بين المثل والواقع، وثنائية الذات والموضوع، والتنافر الحضاري، والتناقض الجدلي بين الواقع والصياغات الأداتية للعقل، والفشل في تحقيق توافق بين المواقف الواقعية والمواقف الممكنة، والفجوة القائمة بين

حاجات الإنسان الأساسية والتجاوب المحدود من طرف المجتمع. (الجماعي، 2010، ص ص63-64)

وبشكل عام فالإنسان كائن جوهره الروح والعقل، وكل ما من شأنه أن يمس هذه الأبعاد الأساسية لبناء شخصيته يدفع به إلى حالة من الاستلاب والاغتراب، وتتبدد مظاهر الاغتراب في أشكال مشاعر مفرطة بالدونية واللامبالاة، والقهر والضعف والقصور والسلبية والانهزامية، وهذا ما يميز في العموم الفرد في العالم الثالث أين يعيش مغتربا في بيته منهزم الإرادة وميت العزيمة وقاصرا في أداء أي عمل أو ابتكار أي فكرة تفيده أو تفيد غيره.

3. الهوية الثقافية وصراع الغزو والتبعية

تعد فكرة التبعية من الأفكار وثيقة الصلة بموضوع الثقافة والهوية الثقافية، وفي كل الأحوال لا يمكن النظر إليها باعتبارها تمثل الرفض الساذج للتراث والعلم الغربي أو الدعوة إلى الانغلاق على خصوصية علمية عربية لا ينفتح فيها العلم إلا على ذاته، ولكنها تنطوي على نفي فكرة التراث والعلم الواحد حتى في المجتمع الغربي ذاته، فالواقع السياسي والاجتماعي هناك متعدد بتعدد مواقع القوى السياسية والاجتماعية المتباينة ومصالحها، ويتعدد وفقا لذلك التراث الثقافي والعلم الإنساني الذي يعكس الرؤى والتفسيرات المتغايرة والمتصارعة لأنماط الحياة وأفضل أساليب تنظيمها، وحيث أن واقع مجتمعات العالم الثالث ومجتمعاتنا العربية هو أنها خاضعة للسيطرة الإمبريالية بوجودها في شبكة علاقات النظام الرأسمالي العالمي، وعليه فإن التقليد لنمط العلم والثقافة المسيطرة في العالم الرأسمالي يخدم بطبيعة الحال هدف الإبقاء على العلاقات الاجتماعية الراهنة، ويعمل على دعم العلاقات الدولية غير المتكافئة، ويساهم في تشديد الروابط مع النظام الرأسمالي العالمي السائد.

ولأن تحقيق التقدم عن طريق ما يسمى"بالانعزال والانغلاق" أمر لم تؤكده وقائع التاريخ القديم والحديث، بل المؤكد إنه وعلى سبيل المثال قبل الحضارة العربية والإسلامية كانت هناك الحضارة اليونانية والرومانية التي احتك بها العرب والمسلمون احتكاكا أفادهم كثيرا في الجوانب العلمية والثقافية والتعليمية، كما أن أفضل العصور التي يرغب أصحاب توجه "الغزو الثقافي" الآن أن يعودوا إليها كانت تلك العصور التي انفتح فيها العرب والمسلمون على الحضارة اليونانية والرومانية، والتي كانت حينذاك تعد إنجازا تاريخيا وبشريا حقق لهم استقلاليتهم وتفردهم وتميزهم، لأنه لم يكن اندماجا بل كان مراجعة نقدية لها ونوعا من الإفادة من المعارف والعلوم للحضارة المجاورة (أحمد، 1995، ص ص223-225)، وفي هذا المقام يمكن القول إن الاحتكاك الثقافي في العصر الحديث ونظرا للتغيرات المتسارعة على المستوى العالمي بشكل عام بات يفرض نفسه خاصة على مجتمعات العالم الثالث والشعوب العربية شريطة أن يكون هذا الأخير قائما على التكافوء بعيدا عن الاملاءات ومنطق القوة والسيطرة رغم أنه لا يحد ينكر ما للحضارة الغربية في الوقت الراهن من تفوق وانجازات على كافة الأصعدة والمناحي.

بالتالي فإن أصحاب فكرة "التبعية الثقافية"يرون الصورة بشكل أرحب وأوسع وأشمل ويعتبرون عن شمولية في النظر، وفهم حقيقي للعلاقات التي تحكم دول العالم المعاصر، وما يترتب عن تلك العلاقات من تبعية وندية، والتبعية الثقافية ليست نظرية المعنى العلمي للكلمة لكنها مقولة تختبر في الواقع المعاش، وأداة تفسيرية لشروط القهر والتسلط والتخلف التي تعاني منها دول العالم الثالث بمعنى التابع، إذن القضية ليست غزو بالمفهوم المسطح السائد إنما بمفهوم سيطرة وهيمنة النظام الرأسمالي على الأنظمة الأخرى.

ولهذا فالإشكالية التي يواجهها العالم الثالث هي كيفية الخروج من حالة السيطرة والانبطاح الذي فرضه النظام الغربي الحديث، وكيفية الخروج من

مأزق التبعية، وهذا الطموح طبعا لا يكون إلا من خلال مشروع متكامل ورؤية شاملة لتطوير الإنسان والمجتمع، أولا بتحريره من كافة صنوف القهر والتسلط الواقعة عليه لكي تنطلق طاقاته الإبداعية والخلاقة، وثانيا ببناء حياة اجتماعية تحقق للفرد والجماعة المشاركة الفعلية في القول والعمل. (أحمد، 1995، ص230)

وفيما يخص النظام الإقليمي العربي -على اختلاف طبيعة الأنظمة السياسية القائمة في الدول العربية- فهو نظام تابع للرأسمالية العالمية يستند إلى استراتيجيات وتصورات ومفاهيم عن الأمن والدفاع والاقتصاد والسياسات العامة وأنظمة الحكم والدولة، والعلاقات الداخلية والخارجية وضعت قواعده ومطلقاته وأسسه الولايات المتحدة الأمريكية والحلفاء الغربيون والصهيونية العالمية، هدفه الأول محاربة وسحق المقاومة والثورة للحفاظ على الأنظمة القائمة تحت شعار مكافحة الإرهاب الإسلامي القومي العربي. (طالب، 1999، ص358)

4. علاقة الإعلام بالثقافة في ظل العولمة الإعلامية

عرفت العولمة وآثارها المختلفة اهتماما من قبل الباحثين وأخذت مساحات معتبرة من كتاباتهم خاصة مع ظهور ما يسمى بالإعلام الثقافي والتوظيف السياسي والثقافي لوسائل الإعلام من قبل الدولة وأنظمة الحكم.

وحسب عديد الأبحاث والدراسات فالإعلام بمختلف مكوناته ووسائله يعد أهم رهانات العولمة وأهم آلياتها لتعميم الثقافة، فالعلاقة بين الثقافة والإعلام هي علاقة تبادلية أو علاقة تكامل، فالإعلام وسيلة لنشر الثقافة ومحتواها، إذ يعطيها الشكل والوسيط وهي تعطيه المعنى، فالثقافة هنا هي ذلك الجوهر الذي تحويه وسائل الاتصال الجماهيري، وهناك شبه اتفاق على وجود التكامل بين الإعلام والثقافة باعتبارها تراث الأمة المادي والروحي الذي يشكل خصائصها

وقيمها وصورتها الحضارية، فوسائل الاتصال والإعلام هي الأداة الناقلة للثقافة من خلال البث والنشر والشرح لما يمكن اعتباره فعلا أو مكونا ثقافيا، غير أن الوقت الراهن غير بعض جوانب معادلة علاقة الإعلام بالثقافة، حيث لم يعد الأخير ناقلا أو حاويا لها إنما أصبح الإعلام صانعا للثقافة وعنصرا مهما في الابتكار والإنتاج الثقافي (محمد، 2001، ص46)، وهذا معناه أن الإعلام بأجهزته المختلفة أصبح هو المسؤول عن اختيار المادة الإعلامية أولا ثم إعدادها وفق مقاييس محددة لتنقل في الأخير للجمهور حسب المعايير التي تناسب المرسل.

إضافة لذلك فإن الإعلام اليوم تشابك في علاقته مع الثقافة إلى الحد الذي جعل مدرسة فرانكفورت تهدف للوصول إلى نظرية اجتماعية تأخذ في اعتباراتها الجوانب الثقافية لنظم الإعلام الحديث وأهدافها، ويتجلى هذا في أبحاث مؤسسا مدرسة فرانكفورت تيودور أدورنو وماكس هوركهيمر وأتباعهما من أمثال جورجان هابرماس، ماركيوز، هنا ارندت ونانسي فريزر وغيرهم إلى القول بأن مؤسسة الإعلام الحديث ما هي إلا أداة للسيطرة الاجتماعية وإعادة إنتاج المجتمع بأنماطه السائدة، حيث يرون أيضا أن الإعلام الحديث يعمل على إخماد نوازع التفرقة الطبقية، وعلى ضمور الوعي الثوري لدى الطبقات المستضعفة، وعلى دمج العمال في نسيج المجتمع الرأسمالي المعاصر. (مهجور، 2019/2020، ص274)

5. تكنولوجيا الاتصال الحديثة وانعكاساتها على الهوية الثقافية

استحدثت تكنولوجيا الاتصال الحديثة العديد من المفاهيم والممارسات، كما أحدثت تغيرا ثقافيا على العديد من المستويات العلمية والتربوية والاجتماعية وغيرها مستحدثة في النهاية فضاء افتراضيا، وعلاقات افتراضية، وجماعات افتراضية، وكذا هويات افتراضية، وإن كانت كل هذه الفضاءات والعلاقات الافتراضية، تطرح إشكالات على مستوى التوازن بينها وبين الفضاءات التقليدية،

فإن الهوية الافتراضية لا تطرح فقط إشكالا مفاهيميا بقدر ما تطرح إشكالات على مستوى البنية والوجود الافتراضي لأن الممارسات الافتراضية التي تتعلق بالهوية لها امتداداتها ومداها وتأثيراتها في الهوية الوجودية للفرد، وعلى أبعادها الثقافية والاجتماعية.

والهوية الافتراضية حسب الأستاذ الصادق رابح هي الهوية التي تتجلى في المنتديات الحوارية وغرف الدردشة الإنترنتية، وهي هوية يسعى الفرد غالبا من خلالها إلى التلاعب بهويته بهدف دفع محاوريه والمتفاعلين معه إلى التعامل معه على أساس أن هذه الهوية المتخيلة الفانتازمية هي هويته الفعلية، حيث تسعى الهوية الافتراضية في غالب الأحيان لتحقيق رغبات وتطلعات أقصتها الحياة الفعلية ومنعتها من التحقق.

فالهوية الافتراضية إذن هي مجموع تمثلات الشخص لذاته كفرد مستقل بذاته، وككائن له وجوده في العالم الافتراضي –شبكة التواصل الاجتماعي -، وطرائقه في التواصل مع الآخرين ومع المجموعات الاجتماعية الافتراضية، وتجاربه وتفاعلاته الافتراضية عبر الشبكات الاجتماعية.

وفي مجال الدراسات الخاصة باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة وشبكاتها الاجتماعية وعلاقتها ببناء الهوية الافتراضية تشير التقارير العلمية إلى أن الشباب يشكل الفئة الاجتماعية الأكثر انفتاحا على هذه التكنولوجيا واستخداما لها، والفئة الأكثر سعيا لامتلاك المهارات التقنية التي تسمح لها بذلك مقارنة ببقية الفئات الاجتماعية، ففي هذه المرحلة من العمر يتجلى الوعي بالاستقلالية الذي تعززه الممارسات الإعلامية والثقافية الجانحة أكثر نحو الفردانية، مثل امتلاك الهاتف النقال الشخصي والكومبيوتر الشخصي واستخدام شبكة الإنترنت وغيرها من الوسائل التي تسمح للشباب بالتعبير عن هويتهم والابتعاد تدريجيا عن مراقبة أوليائهم.

وتشير عديد التقارير أيضا إلى أن الشباب بين سن 15 و 24 سنة يقعون تحت ضغط الإحباط والتوقعات التي تحدثها بشكل جزئي مؤثرات الإعلام والتكنولوجيا والديناميكيات التحولية في البنى الأسرية، وبهذا يعيش الشباب حالة من عدم الاستقرار النفسي، عالقين بين عالمين أحدهما واقعي لا يلبي احتياجاتهم، والآخر افتراضي يتشربونه عبر آليات التكنولوجيا المتعددة.

وتمثل وسائل الإعلام الجديدة وشبكة الإنترنت أهم متغيرات هذه المعادلة إذ يمثل الشباب الجمهور الأساس لوسائل الإعلام الجديدة، حيث تؤكد الكثير من الدراسات أن فئة الشباب هي الفئة الأكثر استخداما للإنترنت لما تتميز به من مغامرة وإثارة وفضول، كما أنها الفئة التي تحاول التمرد على المجتمع وتبني الجديد ومحاولة التأقلم معه، بل في بعض الأحيان الانسلاخ مما هو موجود، والبحث عما يأتي من الغير ومن وراء البحار، فكثرة استخدام الإنترنت تؤدي إلى الإحساس بالعزلة وبالانسلاخ الثقافي والحضاري والاجتماعي، بحيث إن الشباب يعيش في عالم آخر عبر الإنترنت يكون بعيداً كل البعد عن عالمه الحقيقي أو الواقعي، وهذا ما يؤدي إلى نوع من الانفصام وضعف مهارات الاتصال الاجتماعي، والانسلاخ في الواقع عن النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه الشاب.

وقد أثبتت الكثير من الدراسات في ذات السياق أن الشبكات الاجتماعية والفيسبوك خصوصا، غيرت الوجه العام لبناء الهوية من خلال سماحها لمستخدميها عبر العالم بإعادة مفهمة صورهم عن ذواتهم بالانتقال من هويات مؤسسة مكانيا وواقعيا إلى أشكال هجينة ومرنة للهوية بفضل الخدمات التي توفرها من تدوين وألعاب ودردشة والانضمام إلى مجموعات معينة وغيرها...، حيث تعتبر هذه الخدمات تجارب افتراضية يطور من خلالها مستخدمو الفيسبوك مفهومهم لذواتهم وهوياتهم الملحقة.

ففي البيئة الرقمية يسعى المستخدمون لخلق التأثير، لإشباع الفضول، لخوض مغامرات وللتواصل والتعلم من خلال الاتصال بالشبكة، وفي هذه التجربة التفاعلية يتمكن المشتركون أكثر من أي وقت مضى من المشاركة والتواصل الرقمي صانعين بذلك هويات رقمية أكثر تعقيدا وأكثر تمثيلا للعلاقات التي تسم الحياة الواقعية.

ويشير الصادق رابح في إحدى دراساته إلى أن التمازج بين الذوات الافتراضية والذوات الفعلية له انعكاساته على طبيعة الهوية الفردية، إذ ليس من المؤكد أن القفز والاستحواذ على مجموعة من الذوات الافتراضية سيساعد الفرد على تعميق أناه -ذاته-، إنما يجعل هذا القفز من الهوية غير محددة العوالم نهائيًّا، وبالتالي يجعل الأنا تعيش في وضعية اللا يقين، حيث إن الهدف النهائي للمتلاعب بذاته في الفضاء الإنترناتي هي أن يكون ضمن هذه الفئات الثلاثة: أفضل من ذاته، أكثر من ذاته، ذاته لكن بتمظهر آخر، فالذوات التي يتقمصونها تستبعدهم عن ذواتهم الفعلية، وتدفع بهم إلى عوالم إشباعية وتسكينية. (مبني، 2021)

6. مشكلات الهوية الثقافية في ظل العولمة الإعلامية

هناك من يرى أن هدف العولمة الثقافية هو السيطرة على وعي الآخرين وخاصة المجتمعات العربية، واختراق هذه المجتمعات ثقافيا، وإعادة صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية لهذه المجتمعات، مهددة هويتنا الحضارية من خلال وسائل الإعلام المختلفة، حيث يشير القرضاوي إلى أن العولمة الثقافية تشكل خطر على عقائدنا وقيمنا ولغتنا، وتريد أن تسلخنا من جلدنا، وأن تنزعنا هويتنا وأن تروج في أمتنا بضائعها الفكرية ومعلباتها الثقافية الملوثة، ويرى أنها تشيع فينا ثقافة الاستهلاك وثقافة الإباحية، وثقافة الشذوذ، وثقافة الإجهاض، وثقافة التطبيع.

ويمكن تلخيص أهم آثارها على في النقاط الآتية:

- شيوع الثقافة الاستهلاكية التي تستخدمها كأداة قوية فاعلة في إطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان، ومن ثم تشويه التقاليد والأعراف السائدة.

- تغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وهمومه، وإدخال الضعف لديه، والتشكيك في جميع قناعاته الدينية، وهويته الثقافية.

- إشاعة ما يسمى بأدب الجنس، وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب الحياة وكظاهرة عادية وطبيعية، وما يترتب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات، وقتل أوقات الشباب بتضييعها بما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة، وتساهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة والقنوات الفضائية، وبرامج الإعلانات، والدعايات للسلع الغربية وهي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية التي تخدش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية.

- استخدام الأقليات في بعض الدول من أجل تهديد وحدتها وتجزئتها والتدخل في شؤونها وإسقاط أية حكومة تجد الدول الغربية أنها تهدد مصالحها.

- سلخ الأجيال عن عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وقيمهم الاجتماعية واستبدالها بعادات وثقافات وقيم اجتماعية مصدرة.

- تذويب الانتماء إلى الدين والمعتقد وإضعاف علاقة الفرد بأمته ومسخ شخصيته المستقلة ليذوب في منظومة العولمة الثقافية. (شياب، 2019، ص ص445-459)

- سيادة ثقافة الصورة السمعية والبصرية التي أضعفت الثقافة الشفوية والمكتوبة ولاسيما لدى النشء والشباب.

- التوسع المذهل لأنماط الحياة الغربية في اللبس والمأكل والمشرب لدى شعوب العالم الثالث.

- انتشار مظاهر الفردية والذاتية والأنانية والغربة، وما يترتب على ذلك من تراجع صور الانتماء للأسرة والجماعة والقبيلة والمنطقة والمجتمع.

أما بخصوص تهديدات العولمة للهويات الذاتية والخصوصيات الثقافية فيمكن تحديدها وفق الاعتبارات التالية:

- وذلك على اعتبار أن هذه الخصوصيات الثقافية هي رمز للهوية الذاتية، والمشكلة هي الاتجاه لصياغة ثقافة عالمية في ظل العولمة لها قيمها ومعاييرها، والغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب، ولأن الدعوة إلى العولمة قد ظهرت في الولايات المتحدة، فإن هذا يفترض أنها تعني الدعوة إلى تبني النموذج الأمريكي في الثقافة وفي طريقة الحياة بشكل عام.

- يتم اختراق وتشويه البنى التقليدية لدى شعوب العالم الثالث وأبناء المجتمعات العربية من خلال نشر ثقافة إعلامية وإعلانية، اتصالية تسطح الفكر وتزيف الوعي، وتصنع الذوق الاستهلاكي، وتشويش نظام القيم وتنميط السلوك ناشرة بذلك جملة من الأوهام هي: وهم الفردية، ووهم الخيار الشخصي، ووهم الحياد، ووهم الطبيعة البشرية، ووهم غياب الصراع الاجتماعي.

- تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة (غربية أمريكية) تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصالحة.

- الانصهار الحضاري لسائر الثقافات التي تحمل قيما مضادة لقيم الحضارة الغربية، وخصوصا الحضارات الشرقية مثل الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية. (مهجور، 2020/2019، ص ص274-275)

7. الاغتراب الثقافي العربي في ظل العولمة:

يعتقد حسين مؤنس أن ثقافة الأمة هي عملها غير الواعي الذي تتوارثه أجيالها، وتسير به في شؤون حياتها أي هي ثقافتها في الحياة، ويدخل في ذلك اللغة ونظام إقامة البيوت، وأنواع المآكل وطرق تحضيرها والملابس والفرش والثياب والأمثال والحكايات الشعبية وقصور أهلها لدينا، وطرائقهم في الصناعة والزراعة والتجارة والملاحظة، ويتسع معنى الثقافة أيضا فيشمل المأثورات الشعبية، كما يشمل ما يقدم من طرق للصناعة اليدوية القائمة على تقاليد متوارثة وما يتغنى به الناس من أغان شعبية وما يعرفون من موسيقى، وكل ما يدخل تحت ما يسمى اليوم بالفولكلور، ومن منظور هذه الزاوية يتجلى الاغتراب الثقافي من خلال مظهرين هما:

1.7 اضطراب الهوية الثقافية وآثار العولمة

يطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد، ويتحدث علماء النفس الاجتماعي عن نوعين من الهوية هما الهوية الشخصية: وتقوم على الخصال الفردية والوعي، والهوية الاجتماعية: وتقوم على الانتماء للجماعة.

ويشير كينستون إلى أن حالات التمرد والعصيان والخروج عن القيم إنما تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع، بل والشعور بالغربة والاغتراب وحدد كينستون صور رفض الهوية الثقافية في إظهار سلوكات غير مألوفة في ثقافة المجتمع، ورفض النظام القيمي للمجتمع، وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع.

فمعظم السلوكيات الثقافية في مجتمعاتنا العربية بالخصوص لاعقلانية، وهي أقرب ما تكون للسلوك الانفعالي، ومن الصعوبة بمكان تصنيف هذه السلوكيات تصنيف إنسانيا خالصا، أو بعبارة أخرى معظم السلوكيات المسجلة على مستوى الفضاء الثقافي: "عمل يقوم به الفرد تلبية لدافع شخصي غير متأثر بالعوامل الاجتماعية، ويبدو أكثر وضوحا لدى الحيوانات والأطفال في إشباع

غرائزهم الفطرية"، والسبب يعود في ذلك لمبدأ الاستثارة الذي تفرضه أدوات العولمة المختلفة على الثقافة والهوية المحلية وفقا لمبدأ الإغراق الإدراكي على المستقبلات الحسية والجهاز العصبي برمته للفرد العربي، وهي بعيدة كل البعد عن ما يمكن وصفه بالثقافة في إطارها الايجابي، وهي بعيدة كذلك عن ما يمكن وصفه بالسلوك الاجتماعي إذ يعد السلوك الاجتماعي أحد فروع السلوك الإنساني أي أنه: "السلوك الذي يشمل توافق الشخص في تعامله مع غيره"، وبدل ذلك يمكن وصفه بالسلوك الثقافي الجماعي، وهو سلوك جماعة من الأفراد تتصف بالقدرة على تطوير قواعد وعادات للسلوك الثقافي بطريقة تلقائية تخالف ما هو شائع ومقبول في المجتمع، ويتسم هذا النوع بأنه سلوك ثقافي مؤقت ومرحلي مبني على التقليد، كما ويتسم عادة بالسذاجة وسهولة وسرعة التأثير عليه خصوصا في ظل عولمة الإعلام، أي سلوكيات خارج الأطر العامة غير متوقعة وتميل نحو اللاعقلانية.

2.7 الصراع بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية

ويأخذ هذا بعدين أولهما المبالغة في تمجيد الثقافة العربية الكلاسيكية، أما البعد الثاني فهو تقليد الغرب واقتباس كل ما يقدمه دون اختبار أو دراسة، والحل الأنجع لذلك كله هو محاولة الجمع بين الأصالة والتجديد. (زياني، 2020، ص ص19-35)

8. سبل مواجهة هيمنة العولمة والتصدي لظاهرة الاغتراب الثقافي

مهما حاولنا النظر بكل تفاؤل إلى العولمة فان جوهرها يمثل تكتلات غربية للهيمنة على الثقافات الأخرى بكل مكوناتها ومركباتها، لذا فدول العالم الثالث والعالم العربي بالخصوص إن أراد الاستفادة من العولمة ومن أبعادها الايجابية وجب عليه التمسك بثوابته الجوهرية والمحافظة على أصالته الثقافية من أي

غزو أو اندثار، وفي هذا الإطار يقترح بعض الباحثين عدة أفكار وسبل لمواجهة التأثيرات السلبية للعولمة ومظاهر الاغتراب الثقافي أهمها:

- وضع رؤية اقتصادية وثقافية واجتماعية شاملة لمواجهة تحديات العولمة.
- تطوير البحث العلمي والتعليم وإعادة النظر في مناهج التدريس وطرقه، فطرق التدريس التقليدية تمنع الاكتشاف التلقائي والابتكار، وعلى العكس فإن النظم الجديدة بإتاحتها الفرصة للفكر الحدسي، كما للتفكير المنهجي، تفتح الباب للإلهام الذي يقود الابتكار.
- إعادة النظر في فلسفة التعليم ومناهجه بناء على الأهمية الجديدة للمعلومات بوصفها المادة الخام لهذا العصر.
- تعميم التعليم وتكنولوجيا المعلومات، وسيتطلب التعليم تنوعا في البرامج والتعميم السريع لكيفية الوصول إلى أجهزة وتكنولوجيا المعلومات وهذا ما يتطلب بنية تحتية إلكترونية تتماشى مع العصر.
- خلق اقتصاديات بديلة للنفط وتطوير الابتكار الاقتصادي.
- تطوير تكنولوجيا المعلومات والاستثمار في اقتصاد المعرفة والمساهمة في إنتاجها وتعليم وتدريب الموارد البشرية، وتطوير البنية التحتية.
- استقطاب العقول العلمية المهاجرة وتوفير الظروف المناسبة لها وتشجيعها على الابتكار والإبداع كل في مجال تخصصه.
- تحويل المجتمع من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع منتج يقوم على المنافسة والعمل.
- التوسع في بناء الجامعات الافتراضية باعتبارها جامعات المستقبل. (شياب، 2019، ص ص445-459)

- الاهتمام باللغة العربية والتركيز عليها وحمايتها باعتبارها جوهر الثقافة العربية، وذلك عن طريق تطوير أساليب تدريسها وتوسيع استخدامها في مختلف مجالات البحث العلمية والتكنولوجية.

- التعاون والتنسيق بين دول العالم العربي وبناء تكتلات داخله لمواجهة الغزو الثقافي الغربي، وإنشاء جبهات للمنافسة في الإنتاج العلمي والثقافي العربي حفاظا على الثقافة العربية والإسلامية بشكل عام.

- تكثيف برامج التوعية الاجتماعية الأسرية حول موضوع العولمة والاستعانة بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ذلك، ووضع استراتجيات مضبوطة لإعداد الأجيال في كيفية مواجهة مخاطر العولمة والاغتراب الثقافي.

- الاعتماد على وسائل الاتصال الجماهيري من محطات إذاعية وتلفزيونية للتكثيف في تناول عناصر الثقافة الإسلامية والعربية وغرسها لدى الجمهور، والعمل على إبرازها وإنتاج المزيد منها لسد أي فراغ ثقافي قد يسمح للثقافة الغربية بالتسلل أو الغزو في شكل مضامين إعلامية أو غيرها. (رحمانية، 2012، ص ص89-109)

9. خاتمة

من خلال ما طرح في هذه الورقة البحثية يتضح أن العولمة الإعلامية والمعلوماتية باتت حتمية على غرار ما تناولت عديد الدراسات ومثلما أشار مارشال ماكلوهان في طرحه حول مجرة غوتمبارغ، حيث رأى أن العالم وبفضل تكنولوجيات الاتصال الحديثة وتقنيات المعلوماتية أصبح قرية كونية تجاوزت الحدود الجغرافية والثقافية في آن واحد، أي أن العولمة تمثل فعلا مناخا حقيقيا معاشا يساعد بتغيير بعض المفاهيم والمعتقدات السوسيوثقافية التي تسمح للفرد والمجتمع بتجاوز المعضلات التي تحرمه من بلوغ بعض الأهداف والاحتياجات التي فرضتها عليه المعايير الاجتماعية والثقافية التقليدية، هذا من وجهة نظر متفائلة أما الوجه الآخر والذي تحاول عدة كتابات غربية تحاشيه أو التقليل من حجمه فيكن في المظاهر السلبية للغزو الثقافي وتأثر مفهوم الاغتراب بالعولمة (الاغتراب الهوياتي) الذي يعد أمرا في غاية الخطورة خصوصا في مجتمعات العالم الثالث، والتي يعاني فيها الفرد من الاغتراب بشكل أو بآخر أين تأتي العولمة لتحاول من خلال آلياتها خلق وفرض عالم وفق رؤى غربية وأمريكية تسعى من خلالا لبسط السيطرة والنفوذ على الدول الضعيفة اقتصاديا وتكنولوجيا وثقافيا بمنطق البقاء للأقوى.

لذا لامناص من اجل تجاوز الهوة المعرفية والمعلوماتية والثقافية التي فرضها منطق العولمة والاغتراب الثقافي إلا عبر منفذ التركيز على البنية العلمية والاقتصادية والثقافية وبناء خطوط دفاع عن أصالة الهوية الثقافية الأصيلة من خلال اخذ مبادرة الإنتاج والابتكار وتشجيع الأفكار البناءة في هذا الميدان بالاعتماد على الإمكانات والطاقات المحلية لأن الغزو الفكري والثقافي في النهاية لا يكون إلا إذا سلم الفرد والمجتمع بضعفه وقوة منافسه، وبمن ثمة يحكم على نفسه بالانهزام قبل غيره.

10. قائمة المراجع:

- **الكتب:**

1- الجماعي، صلاح أحمد. (2010). *الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي*. الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع.

2- طالب، محمد سعيد. (1999). *الدولة الحديثة والبحث عن الهوية، النظام الإقليمي العربي*. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

3- محمد سيد أحمد، غريب. ونخبة من الباحثين. (1995). *المجتمع العربي وتحديات القرن الواحد والعشرين، الهوية الثقافية والشخصية القومية*. دار المعرفة الجامعية.

4- محمد مراد، بركات. (2001). *ظاهرة العولمة رؤية نقدية*. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- **المقالات:**

1- الحاج محمد، أحمد علي. (2021). *العولمة والتربية*. آفاق مستقبلية. إدارة البحوث والدراسات الإسلامية. قطر. السنة 31. العدد 154. ص46.

2- بن نعيجة، نور الدين. *الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة والرقمنة*. مجلة الباحث، العدد 18، ص ص109-123.

3- بوطورة، حنان. منصوري، سميرة. (2021). *الاغتراب الثقافي بالمجتمعات المعاصرة وعلاقته بالثقافة الجماهيرية من منظور نظرية الثقافة الجماهيرية لماكدونالد*. المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي. جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم. المجلد 08. العدد 04. ص ص191-224.

4- بوعزة، سوهيلة فلة. *الجيل الرقمي وظاهرة الاغتراب الثقافي في الجزائر دراسة في استخدامات الفايسبوك لدى الشباب الجامعي الجزائري*. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد 12. العدد 03. ص ص489-502.

5- حجاج، المداني. زياني، مروان. (2020). *الاغتراب في ظل العولمة*. مجلة العلوم الإنسانية والحضارة. جامعة الأغواط. العدد 01. ص ص19-35.

6- درقالي، حياة. بومشطة، نوال. (2022). *استخدام وسائل الإعلام الجديدة ومشكلة الاغتراب الثقافي لدى الطلبة الجزائريين دراسة ميدانية بجامعة قالمة*. المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي. جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم. المجلد 09. العدد 02. ص ص544-564.

7- دنبري، لطفي. شياب، محمد أمين. (2019). *تأثيرات العولمة على المجتمع العربي وتحدي المواجهة*. مجلة العلوم الإنسانية. جامعة الإخوة منتوري قسنطينة. المجلد 30. العدد 03. ص ص445-459.

8- رحمانية، سعيدة. (2012). *العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية العربية*. مجلة علوم الإنسان والمجتمع. العدد 04. ص ص89-109.

9- زوار، سهيلة. (2017). *إشكالية الهوية الثقافية الجزائرية في ظل الإعلام الجديد*. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي. العدد 23. ص ص184-199.

10- عابد، محمد الجابري. (1998). *العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات*. مجلة المستقبل العربي. المجلد 20. العدد 228. ص ص14-22.

- **الرسائل:**

1- مناصرية، ميمونة. (2012/2011). *هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة من منظور أساتذة جامعة بسكرة*. أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم اجتماع التنمية. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر.

2- مهجور، موسى. (2020/2019). *منظومة الإعلام الثقافي للتلفزيون الجزائري في ظل العولمة الثقافية دراسة في الرسالة الإعلامية الثقافية للبرامج الحوارية في*

القناة الأرضية. أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم اجتماع الاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

- **مواقع الانترنيت**:

1- مبني، نور الدين. (2021). الإعلام الجديد والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب الشبكات الاجتماعية أنموذجا. تاريخ الزيارة 2022/03/20.
https://annabaa.org/arabic/referenceshirazi/26055